ابن سحنون
(٢٠٢-٢٥٦هـ)

رائد التفكير التربوى الإسلامى :

عندما فتح المسلمون شمال إفريقية فى عهد الدولة الأموية، استمرت القلاقل زمنًا حتى استتب للمسلمين الأمر بعد أن تعلم السكان أصول الإسلام على أيدى عدد من العلماء والفقهاء المتميزين، وخاصة فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتم إسلام البربر وأصبحت لغتهم هى العربية، كما حدث للفرس وغيرهم من الشعوب غير العربية، التى دخلت الإسلام (الأهوانى، ص ٢٥).

وعنى العباسيون بتثبيت الإسلام بعد أن انقضى قرن من الزمان، نسى خلاله البربر – وهم أهل شمال إفريقية – تاريخهم ودينهم، وأقبلوا على دينهم الجديد، وتشبعوا منه، وأشربوا حبه وتثقفوا بثقافته .

وكان أسد بن الفرات، هو أول من نشر المذهب المالكى فى عاصمة الأغالبة، معتمدًا في ذلك على موطأ الإمام مالك، كما رواه عنه، ويعتبر أول من وضع قواعد المدرسة المالكية : إن كتابه الأسدية كان مرجع الدارسين لمذهب الإمام مالك في المغرب، إلى أن وضع الإمام سحنون كتابه المشهور "بالعمدة " وفرضه على فقهاء إفريقية، ولا سيما في القيروان (محمود عبد المولى، ص ٣٣).

وسحنون هذا هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى، أشهر علماء شمال إفريقية (الأهوانى، ص ٢٦).

وكان سحنون حافظًا للعلم، ثقة، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت فى غيره من الفقه البارع، والورع الصادق، والزهد فى الدنيا، وسلم له بالإمامة، أهل عصره، واجتمعوا على فضله وتقديمه (محمود عبد المولى، ص ٣٤).

ولما تولى سحنون القضاء استغل منصبه الجديد في القضاء على المذاهب الأخرى، وطرد من الجامع أصحاب المذهب الإباضى . وإلى جانب منصب القضاء، تصدر الإمام سحنون للتدريس، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة المغاربة والأندلسيين .

وتوفى سحنون سنة ٢٤٠ للهجرة، وسار محمد بن سحنون سيرة أبيه فى تثبيت مذهب مالك بالقيروان والمغرب، وكان قد تفقه بأبيه، وجلس فى مجلسه بعد موته (الأهوانى، ص٢٨).

وكان محمد إمامًا فى الفقه، ثقة عالما عنى بالذب عن مذاهب أهل المدينة، وعالما بالآثار، وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة .

ومن المعروف أن ابن سحنون، بانتمائه إلى مذهب الإمام مالك، قد عرف بانتمائه فى الوقت ذاته إلى ما عرف بمدرسة الحديث، في مقابل من عرفوا بأهل الرأى . وأصحاب الحديث وهم أهل الحجاز، وهم أصحاب مالك بن أنس، والشافعى، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل، وسموا بأصحاب الحديث؛ لعنايتهم بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلى والخفى طالما وجدوا خبرًا أو أثرًا .

أما أصحاب الرأى، وهم أهل العراق، أصحاب أبى حنيفة النعمان، قد سموا بهذا لعنايتهم بتحصيل وجه من القياس، والمعنى المستنبط من الأحكام، وبناء الحوادث عليها، وربما يقدمون القياس الجلى على آحاد الأخبار (الأهوانى، ص ٢٩).

وفى سنة ٢٣٥ للهجرة رحل مربينا إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، كعادة رجال التعليم والشريعة المغاربة في ذلك الزمان.

وكان يصحب ابن سحنون في رحلته إلى الحج رجل يعرف بأبى الفضل بن حميد، وكان يسمع منه الفقه وعلم الكلام، ولم يكن ماهرًا فى علم الجدل. ومما يذكر أنه قد خرج قبل هذه المرة إلى الحج، فمر بمصر ودخل ذات يوم حمامًا كان يديره رجل يهودى، فلما خرج من الحمام، أقبل يناظر ذلك اليهودى الذى غلبه لقلة معرفته وحذقه بعلم الجدل والمناظرة،

فرجع إلى القيروان، بعدما حج وفى قلبه حسرة، أن لم يكن عنده من المناظرة ما يدحض به حجة اليهودى، فلما رجع، دخل على محمد بن سحنون فهابه أن يذكر له الحكاية (محمود عبد المولى، ص٤١) .

فلما عزم محمد بن سحنون على الحج، قال أبو الفضل بن حميد في نفسه، سأحج معه، حتى أجمع بينهما . فلما وصل معه لمصر قال له: حفظك الله، إن أهل مصر إذا سمعوا بك يأتون إليك، فهل لك أن تدخل الحمام ؟ قال : أجل . فقصد به حمام ذلك اليهودى، فلما قرب خروج ابن سحنون، سبقه ذلك الرجل بالخروج، فأنشب المناظرة مع اليهودى، فلما خرج ابن سحنون، وجدهما يتناظران وقد استعلى اليهودى على الرجل بكثرة الحجاج والمناظرة بالباطل، لضعف الرجل وقلة معرفته بالمناظرة، فدخل معهما محمد فيما هما فيه، ورجعت المناظرة بين اليهودى ومحمد بن سحنون، حتى حضرت صلاة الظهر، فصلاها محمد، ثم رجع معه إلى المناظرة، حتى حضرت صلاة العصر فصلاها محمد، ثم رجع، حتى كانت صلاة المغرب فصلاها (محمود عبد المولى، ص٤٢).

وقد اجتمع الناس إليهما من كل موضع، وشاع ذلك بمصر، وقال بعضهم لبعض: امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربى وبين اليهودى، فلما كان عند صلاة المغرب، انحصر اليهودى، وانقطع عن الحجة، وظهر عليه محمد بن سحنون بالدلائل الواضحة والحجة البالغة، فلما تبين لليهودى الحق بالبرهان، وأراد الله عز وجل هدايته، قال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله "، وبذلك أسلم وحسن إسلامه، فكبر الناس عند ذلك وعلت أصواتهم بالتكبير، وقالوا : أسلم اليهودى على يدى الفقيه المغربى (محمود عبد المولى، ص ٤٢).

وحتى الآن، لم يثبت لنا أن أحدًا قد سبق ابن سحنون فى وضع أول كتاب باللغة العربية فى تاريخ المسلمين متخصص فى المسألة التربوية وحدها دون أن يجمع بينها وبين مسائل أخرى عامة، حتى وإن كانت متصلة بقضايا التربية، كما سبق أن رأينا لدى الماوردى فى كتابه (أدب الدنيا والدين)، حيث عنون ابن سحنون كتابه بـ (آداب المعلمين)، وقد أُطلق

عليه وصف "كتاب"، وإن كان فى الحقيقة، من حيث الحجم، قد لا يكون كذلك، فهو لا يزيد على عشرين صفحة، لكن التقدير له لا يرتبط بالحجم، وإنما بالريادة والمبادرة .

والقارئ لهذا الكتاب يمكن أن يلمس التضافر بين العمل الفقهى والعمل التربوى، وهذا من طبائع الأمور فى هذه الفترة، فالفقهاء كانوا هم الذين يقومون بواجب التربية والتعليم، حيث كان الطابع الدينى هو الذى يغلب على الثقافة الإسلامية، وكان الفقهاء لصيقى الصلة بعموم الناس، يوجهونهم ويفتونهم ويعلمونهم، وقد جاء الرأى التربوى إجابة عن تساؤلات واجهت البعض منذ أوائل القرن الثالث، مما طبع ما ساقه ابن سحنون من آراء بالواقعية، فهو لم يحبس نفسه فى منزله أو أى مكان متأملا، أو تكون نتيجة قراءات فى مصادر مختلفة، بل أدت به تساؤلات الناس أن يفكر فيما سألوه ويُعمل فكره، فكانت هذه الآراء .

وكتاب آداب المعلمين ترجع معرفتنا به إلى "حسن حسنى عبد الوهاب"، فهو أول من نشر هذه الرسالة فى تونس عام ١٩٣١، ثم ألحقها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، فى رسالته للدكتوراه التى صدرت بعنوان (التربية فى الإسلام) بالقاهرة، كما أشار إليها الدكتور أسعد طلس فى (التربية والتعليم فى الإسلام)، ببيروت عام ١٩٥٧، وكذلك الدكتور عبد الله عبد الدائم فى كتابه (التربية عبر التاريخ) .

وقد أقر الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى بأن ما نقله أبو الحسن القابسى عن آداب المعلمين لابن سحنون يكاد يكون بلفظه في بعض المواضع، وباختلاف يسير في مواضع أخرى، كحذف السند عن رأى فقيه، أو تغيير في العبارة دون إخلال بالمعنى. وفضلا عن ذلك، فلم يكتف القابسى بما أخذه عن كتاب آداب المعلمين، بل نقل عن الفقهاء الذين أخذ عنهم سحنون وابنه كابن القاسم وابن وهب وغيرهما .

وقد أثبت الدكتور طلس عناوين فصول كتاب ابن سحنون – كما فعل الأهوانى – ليتبين للقارئ الموضوعات التي تعرض لها الكتاب، والمعلومات التي كان المعلمون المسلمون يحرصون عليها وهى :

١- ما جاء فى تعليم القرآن العزيز .

٢- ما جاء فى العدل بين الصبيان .

٣- باب ما يكره محوه من ذكر الله .

٤- ما جاء فى الأدب، وما يجوز فى ذلك وما لا يجوز.

٥- ما جاء فى الختم، وما يجب فى ذلك للمعلم .

٦- ما جاء فى القضاء بعطية العيد .

٧- ما يجب للمعلم من لزوم الصبيان .

٨- ما جاء فى إجارة المعلم ومتى تجب .

٩- ما جاء فى إجارة المصحف وكتب الفقه .

فيستنتج "طلس" بعد ذلك أن "الكتاب" ... يبحث في فصول تتعلق بآداب التربية العربية، وشىء من طرق تعليم الأطفال عند المسلمين، والمواد التي يجب عليهم أن يدرسوها، كما يبحث في شىء من آداب المعلمين والمربين، وفى بعض المسائل العامة التى تتعلق بهذا الموضوع. وهو على الرغم من أنه سلك فيه طريق المحدثين، كتاب ممتع، غنى بالفوائد، جمع كثيرًا من النصوص القيمة، التي بينت لنا كثيرًا من الأوضاع التى نجهلها عن تربية الطفل وتأديبه، وتعليمه وتهذيبه في فجر الإسلام وعصر بنى أمية وأوائل العصر العباسى .

كذلك فإن الكتاب قد أزاح لنا الستار عن معلومات كنا نعتقد أنها كانت موجودة لدى المسلمين بشكل مؤكد، ولكننا نجهل تفصيلها، فإذا بابن سحنون يرويها لنا عن شيخه الإمام مالك إمام المدينة، وعن غيره من الأئمة الأعلام والشيوخ الأكابر الذين عاصروا الصحابة فعرفوا، عن كثب، طريقة التربية العربية الإسلامية "(محمد أسعد طلس، ١٨٣)

فماذا كان محتوى هذا الكتاب، أو بمعنى أدق "الرسالة"؟

فضل تعليم القرآن الكريم وتعلمه :

لم يكن الحديث عن فضل العلم وطلبه عامًّا، وإنما تحدد بتعليم كتاب الله عز وجل، وهذه صورة أمينة لوثاقة العلاقة بين ما كان يجرى فى أذهان من نصبوا أنفسهم للإنتاج المعرفى التربوى، والسياق الثقافى القائم، فنحن فى القرن الثالث الهجرى، لم نزل بعد بحاجة إلى أن يتعلم الناشئة كتاب الله الذى هو دستور الحياة الإسلامية، والجامع لأصول التربية الإسلامية، فى الحدود التى كانت قائمة.

والحديث فى هذا الباب تغلب عليه "الرواية"، حيث لم يكن العقل التربوى قد تعمق بعد فى جوانب مختلفة من التربية والتنشئة، ومن ثم أخذ ابن سحنون يروى الأحاديث النبوية المختلفة التى تحض على تعلم القرآن وتعليمه، وفى مقدمتها قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه"، رواية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، كما أن لهذا الحديث رواية أخرى قال فيها صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، رواية عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، والذى روى حديثًا آخر قال فيه صلى الله عليه وسلم: "يرفع الله بالقرآن أقوامًا".

ثم يُعدد ابن سحنون الاستشهادات المختلفة فى تأكيد أهمية تعلم القرآن وتعليمه، مثل:

ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله من قوله: "إن لله أهلين من الناس"، فلما سئل عليه الصلاة والسلام عن هؤلاء أجاب: "هم حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته".

أما الغرض من تعلم القرآن، فضلا عن أنه كتاب الله، فقد أوضح رسول الله ﷺ هذا بقوله: "عليكم بالقرآن فإنه ينفى النفاق كما تنفى النار خبث الحديد"، فيما رواه على بن أبى طالب (عبد الأمير شمس الدين، ص ٥٥).

وحول ضرورة وجود مجموعة من الناس تُعلِّم القرآن، ما نقل ابن سحنون عن سفيان الثورى، عن العلاء بن السائب الذى نقل بدوره عن ابن مسعود قوله: "ثلاث لا بد للناس

منهم: لا بد للناس من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضًا. ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لقل كتاب الله. ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرًا، ولولا ذلك لكان الناس أميين".

ما يجب على المعلم أن يتحلى به ويقوم :

١- أول ما يجب على المعلم : أن "يعدل" بين تلاميذه، وإن تصدر هذا المبدأ تفكير ابن سحنون لهو مغزى عظيم حقًا فى هذه الحقبة المبكرة من الزمان . ووفقا لنهج أهل الحديث، يستند ابن سحنون فى ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن أنس بن مالك: "أيما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة، فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حُشر يوم القيامة مع الخائنين" . ولا نريد أن نسترسل طويلا أو حتى قليلا فى التنبيه إلى ما عناه هذا من دعوة إلى ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص، خاصة وأن البعد الاقتصادى الاجتماعى منصوص عليه بكل وضوح وصراحة "فقيرهم مع غنيهم" . ثم إن التهديد بحشر المخالفين لهذا المبدأ الإسلامى العظيم ضمن الخائنين نتبينه من تذكر قوله - سبحانه وتعالى- فى القرآن الكريم، كما فى سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾، وفى سورة الأنفال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾، فالآيات القرآنية صريحة وواضحة فى أن اكتساب إنسان لخلق الخيانة معناه استحقاق غضب الله -عز وجل- عليه، وهكذا يغضب الله - سبحانه وتعالى- من كل من لا يعدل بين الأغنياء والفقراء فى التربية والتنشئة والتعليم .

٢- الرفق والرحمة، وهما من السمات القريبة للسمة السالفة، ألا وهى العدل، الذى هو "أبو الفضائل"، إذا صح هذا التعبير، وفى ذلك روى عبد الرحمن، عن عبيد بن إسحاق، عن يوسف بن محمد، قال : كنت جالسًا عند سعد الخفاف، فجاءه ابنه يبكى، فقال : يا بنى، ما يبكيك ؟ قال : ضربنى المعلم، قال : أما والله لأحدثنكم اليوم : حدثنى عكرمة عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شرار أمتى معلمو

صبيانهم، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين" .(عبد الأمير، ص ٥٨).

٣- التفرغ لتعليم الطلاب : حيث أوجب سحنون ألا يشتغل المعلم عن الصبيان، وهذا يمكنه من أن يحقق ما هو مأمول منه من حيث الاجتهاد وإتقان العمل . ومن شدة الحرص على التفرغ لعملية التعليم، لم يجز ابن سحنون للمعلم أن ينشغل، أثناء وقت التعليم، بتأليف كتاب فى الفقه أو غيره، لكن يجوز له هذا، إذا فرغ مما يجب عليه من التعليم .

٤- تعامل سحنون مع مسألة "العقاب" تعاملاً قانونيًّا شرعيًّا، ولم يتناولها من منظور تربوى، حتى لقد تطرق إلى تفاصيل هى أدخل فى المناقشات القانونية، مثل أن يؤدى ضرب المعلم للمتعلم ضربًا أفضى إلى إحداث عاهة أو أفضى إلى موت، وليس من شأننا أن نخوض فى مثل هذه المناقشات، لكن، من الواضح أن الضرب كان مسألة مقررة، حتى إننا لا نجد مربيًا إسلاميًّا إلا وتطرق إليها، لكن يلفت نظرنا قوله: إن المعلم لو ضرب المتعلم باللوح أو بالعصا فقتله فعليه القصاص "لأنه لا يؤذن له أن يضربه بعصا ولا بلوح" (محمود عبد المولى، ص٩٧). وهو فى موضع آخر من الرسالة (ص٧٦)، ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب فوق عشرة أسواط إلا فى حد"، لكنه ينقل حديثًا آخر منسوبًا أيضًا لرسول الله رواه عبد الرحمن الحُبُلى الإفريقى (تابعى) يقول فيه: "أدب الصبى ثلاث درر" (والدرة هى العصا الصغيرة). لكن ما يستوقف النظر حقًّا، هو أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- نفسه، لم ينقل عنه أنه استعمل رخصة الضرب، فإذا كان الضرب "رخصة"، فمن الممكن ألا يتم اللجوء إليها .

٥- وإذا تقوَّل بعض المتعلمين على بعضهم من حيث الأذى، فهل يجوز للمعلم أن يأخذ بقولهم، فيوقع العقاب بمن اتُّهم ؟ لم يحبذ ابن سحنون ذلك، إلا إذا كان، وفق الخبرة، قد تأكد ووثق بصدق الطلاب "فيقبل قولهم"، كما يجوز له الأخذ بما قيل إذا استفاض مثل هذا القول وكرره أكثر من واحد، أو سمع اعترافًا بوقوع الأذى (محمود عبد المولى، ص ٨٩).

تنظيم التعليم فى الكتاب :

ومن استقراء رسالة ابن سحنون نستطيع أن نقف على بعض الأمور التى تكشف عما كان عليه نظام التعليم فى هذه المؤسسة الصغيرة المتواضعة، فمن ذلك :

وقت التعليم : مدة اليوم المدرسى فى الكتَّاب وفقًا لما رآه ابن سحنون هو من وقت الضحى حتى الظهر .

مادة التعليم : نحن فى هذه الفترة المبكرة من التطور التربوى فى الإسلام، وفى مؤسسة مثل "الكُتّاب" المتخصصة بصفة أساسية فى تعليم القرآن الكريم، لا بد أن نتوقع من ابن سحنون أن يكون قطب الرحى فى مواد التعليم هو كتاب الله نفسه، لكن هذا لم يمنعه من أن يجيز تعليم بعض الأمور والمجالات، مثل "الحساب"، وكذلك الشعر، والعربية، والخط، والنحو كله .

كذلك ينبغى للمعلم أن يعلم طلابه إعراب القرآن، والشكل، والهجاء، والقراءة الحسنة، والتوقيف، والترتيل.

وهو يستدرك على ما قاله من حيث جواز تعليم الشعر فى الكتاب باشتراطه ألا يكون فى هذا الشعر "فحش من كلام العرب وأخبارها" .

كذلك كانت هناك بعض الممارسات العملية الضرورية، فيعلمهم الوضوء والصلاة، وعدد ركعاتها وسجودها والقراءة فيها والتكبير، وكيفية الجلوس والإحرام والسلام، وما يلزمهم فى الصلاة والتشهد والقنوت فى الصبح .

كذلك على المعلم أن يعلم طلابه الدعاء، ليرغبوا إلى الله، ويعرفهم عظمته وجلاله، ليكبروا على ذلك. ونظرًا لما يحدث أحيانًا فى بعض المناطق من تأخر نزول المطر، فى الوقت الذى لا أنهار فيها، فليعلمه المعلم كيفية الخروج للقيام بصلاة الاستسقاء .

وهناك أيضًا سنن الصلاة، تحتاج إلى التعليم والتعلم، مثل ركعتى الفجر والوتر وصلاة العيدين، والخسوف .

وفضلا عن ذلك، وجب تعليم الطلاب الصلاة على الجنائز والدعاء عليها، والتشديد على ألا يقرب المتعلم المصحف، وهو على غير وضوء .

طرق التعليم: الحفظ والاستظهار، هما الطريقة السائدة، فضلا عن ذلك فقد أجاز ابن سحنون صورة من صور التعليم التعاونى، إذا صح هذا التعبير، وهذا ما نفهمه من قوله: "ولا بأس أن يملى بعضهم بعضًا لأن ذلك منفعة لهم"، لكن ابن سحنون يشترط فى الوقت نفسه أن يقوم المعلم بمراجعة إملائهم، حيث إن الأمر قد لا يخلو من أخطاء لدى هذا أو ذاك، مما قد لا يدرون حقيقتها.

كذلك لم يجز للمعلم أن ينقل المتعلم من سورة من سور القرآن الكريم إلى أخرى، قبل أن يتيقن أن المتعلم قد حفظ الأولى، بل وكذلك أحسن إعرابها، وأتقن كتابتها. لكن، وفقًا لقاعدة "العقد شريعة المتعاقدين"، حيث إن ذهاب المتعلم للكتَّاب يكون بناء على تعاقد بين معلم الكتاب وولى أمر المتعلم، فيمكن لولى أمر المتعلم أن يطلب "التجاوز" عن هذا الشرط الذى أسلفناه .

محو مادة التعليم والتعلم : استأثرت هذه القضية التى قد لا يحفل بها أحد اليوم بمربينا ابن سحنون، ذلك أن مادة التعلم والتعليم آيات من كتاب الله، ومكتوبة بالحبر على "لوح"، وأدوات التنظيف والمحو، لم تزل بعد فى صورتها البدائية، ولذلك فقد فضّل الرجل أن يكون محو مادة التعلم بالماء . لكن الغريب الذى قد يثير عدم الرضى هو تجويز ابن سحنون أن "يلعط" – يلعق – المتعلم المداد الذى كتب به على اللوح أو أن يمسحه بطرف ثوبه، إلى الدرجة التى أدت بابن سحنون أن يتخذ من آثار المسح على طرف الثوب وعلى شفاه المتعلم دليلا يستحق المدح والتقريظ عليه، وهذا الأمر مما أثار الدكتور الأهوانى، وهو يراه أثرًا من آثار المنهج الفقهى الذى يقوم على الاتباع .

لكننا هنا لا نرى ما رآه الأهوانى، ذلك لأن الوقائع والآراء لا بد أن تقاس بسياقاتها الثقافية، فلم يكن القوم قد عرفوا بعد شيئًا عما نسميه اليوم بالتلوث الذى يؤدى بتناقل الميكروبات، فضلا عن وسائل حديثة ابتكرت للمحو . نضيف إلى ذلك أن من أركان المنهج

الفقهى، قاعدة "المصلحة المرسلة "، وكذلك "العرف "، وهما يقدمان اليوم الرأى الصحى ويعطيانه أولوية، خاصة وأن عملية المحو بالصورة التى كانت من قبل ليست من "الأصول" التى لا اجتهاد فيها .

المعاملات المادية : أجاز ابن سحنون أن يتفق المعلم مع ولى أمر المتعلم على أجر معين، ومن ثم لا يجوز للمعلم أن يتقاضى فوق هذا الأجر شيئًا، حتى عند المناسبات، مثل العيد (الفطر والأضحى)، أو أية هدية، لكنه فى الوقت نفسه لا يرى ضررًا فى أن يقبل المعلم شيئًا من هذا إذا جاءه بغير طلب، وتطوعًا من أهل المتعلم، ولا يصح أن يهدد تلاميذه من أجل شىء من هذا أو يضربهم .

ومن العسير الاستناد إلى ما قاله ابن سحنون من حيث ترك الأمر وفقًا لمدى تطوع الأهل بالعطايا، ذلك أن ضعف التقوى، وهو الأمر الذى يتوافر مع الأسف الشديد فى فترات كثيرة من التاريخ، يدفع الأهل إلى "التطوع "، اضطرارًا، وهو الأمر الذى يبدو متناقضًا، ذلك لأنهم يخشون تقاعس المعلم، أو ضعف أدائه وسوء معاملته لأولادهم، ينجرفون إلى استرضائه بتقديم الهدايا، كما نرى فى أيامنا المعاصرة، فى المناسبات المختلفة، وأبرزها ما يسمى "بعيد الأم " !!

وفيما يخص أجرة المعلم فقد كتب أحدهم إلى ابن سحنون يسأله "عن المعلم يستأجر على صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان أو يريد (أبوه) أن يخرج به إلى سفر أو غيره، فقال : إذا استؤجر سنة معلومة، فقد لزمت آباءهم الإجارة خرجوا أو أقاموا .." (محمود عبد المولى، ص ٩٠).

العطلات: كان يوم الجمعة هو يوم العطلة، وأما فى عيد الفطر، فتكون عطلته يومًا واحدًا، يمكن – جوازًا – أن يصل إلى ثلاثة أيام، وفى عيد الأضحى، ثلاثة أيام وجوبًا، قد تصل إلى خمسة جوازًا أيضًا .

هل يتم تعليم الصبيان فى المسجد ؟ لم يجز ابن سحنون ذلك، استنادًا إلى ما نقله عن

الإمام مالك، حيث إن الصبيان لا يؤمن طهارتهم . وكذلك تحفظ على أن ينام أحد فى المسجد، أو يأكل، إلا عند الضرورة، كأن يكون الشخص غريبًا ومسافرًا ومحتاجًا، ولا يجد موضعًا آخر .

مراجـــع :

١- أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام، أو التعليم فى رأى القابسى، القاهرة، عيسى البابى الحلبى، ١٩٥٥م.

٢- عبد الأمير شمس الدين : الفكر التربوى عند ابن سحنون، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٥م.

٣- محمد بن سحنون : كتاب آداب المعلمين، تحقيق: محمود متولى، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٦٩م.

obeikandl.com